التوضعات الأثرية بمغارتي راسل بشنوة وسيدي السعيد بتيبازة

سميرة هميل
جامعة الجزائر2

مقدمة :

تشتهر ولاية تيبازة بمواقع أثرية ذات عمق حضاري تعود إلى فترة ماقبل التاريخ، مغارات على الساحل الصخري، ومواقع على الهواء ذات تشكيلة جيولوجية مكونة من الحجر الرملي، الحجر الحثي و الرمال، واستنادا إلى الحفريات القديمة، وأبحاث ماقبل التاريخ في المنطقة، نميز من بين المواقع المغارة الكارستية لسيدي السعيد، التي تعد من أهم المواقع الأثرية، باحتوائها على شواهد أثرية فريدة من نوعها تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، مغارة راسل التي تعود إلى فترة العصر الحجري القديم المتأخر باحتوائها على بقايا إنسان الابيرو مغربي، أقيمت عدة أبحاث لمحاولة فهم طبيعة توضعات الزمن الرابع، وعلاقتها بالمحتوى الأثري، لأنها تساعدنا على فهم التسلسل الحضاري إلى جانب تهيئة السكن لإنسان ماقبل التاريخ.

1 - الهيئة المورفولوجية للساحل الغربي الجزائري:

الساحل الغربي للجزائر العاصمة عبارة عن تلال موجهة شرق-غرب، موازية للساحل، تتكون من المرن والحجر الرملي الباليو-بلايستوسان[1]، يحده جبل بوزريعة من الشرق، و جبل شنوة من الغرب.

تتميز منطقة غرب الجزائر العاصمة بشطوط بحرية تعود إلى فترة الزمن الجيولوجي الرابع البحري[2]، ذو قاعدة كلسية وقواقع، يليه الحجر الرملي، فهو توضع بحري يعلوه مستوى من التوضع الريحي[3]، فالشاطئ الساحلي الغربي للجزائر العاصمة يتواجد على علو يتراوح ما بين 0 إلى +8متر، و يتكون من ثلاثة مستويات بحرية[4] تعود إلى البلايستوسان، نميز من أعلى المستوى الحالي:

-المستوى الكلابري: مكون من رصيص بحري ذو حصى مائل نحو الجنوب.

-المستوى الصقيلي: الرواق الأوسط والعريض يميل قليلا نحو الشمال، مشكلا توضعا بحريا حثيا ذو صدفات، وغطاء قاري يتخلله الطمي الأحمر والحجر الرملي.

-المستوى التيريني: الأسفل متواجد على +30 متر من المستوى الحالي للبحر، وهو مكون من تركيبة بحرية تيرينية ذات تطابق طمي أحمر وحجر الرملي.

بالنسبة لوضعية الأدوات العاترية تقابل فترة الزمن الرابع البحري بسيدي السعيد الذي يحتوي على «*strombus bobonius*»[5] والمتواجدة بالشط السفلي البحري بالنسبة للمغرب، متزامنة مع جزء من الباليوليتي الأعلى الأوربي، وبالفترة الجليدية فورم، أما الوجه الثقافي الإيبيرومغربي والذي نجده في الموقع الأثري مغارة راسل التي تحتوي على مستوى إيبرومغربي ومستوى من العصر الحجري الحديث فهو يتواجد عموما بالمناطق الساحلية، ويقابل الفترة النهائية لجليدية فورم.

2 - مغارة سيدي السعيد

تتواجد المغارة في ساحل تيبازة على بعد 70كلم غرب الجزائر العاصمة، الموقع عبارة عن فجوتين ذاتا توضع أثري محفورة في الحجر الرملي الصقيلي[6]، في منحدر بحري على علو حوالي 10 أمتار، ذو هيئة مدببة، يتصل بصخر على شكل مقبض (الشكل01).

- الفجوة «أ» مغارة مفتوحة نحو الشمال الغربي مفروشة بالطمي الأحمر.

- الفجوة «ب» غربا على شكل ملجأ مفتوح نحو الشمال، ذو توضع قاتم اللون، وطمي أحمر.

أرضية الفجوتين قريب من المستوى الحالي للبحر، فالتوضعات تتعرض باستمرار للتعرية بفعل مياه البحر، فكلا من الفجوتين تتميز بتكوينة كارستية قديمة، عدلت بفعل المياه، وأردم جزء منها.

اكتشفت المغارة من طرف الأستاذ بتروني سنة 1980، حيث قام بعملية السبر بعمق الفجوة«أ»، كما تمت بالموقع حملات تنقيبية سنة 1985-1987، وفي سنة 1989 تم القيام بسبر على مستوى الشاطئ[7]، سمحت عملية البحث بالتعرف على سلسلة من المستويات الطمية-الطينية الحمراء، والتي يتميز بها الشريط الساحلي الجزائري، سواء بالمناطق الغربية[8] أو الشرقية[9].

حسب الدراسة التي أقيمت من طرف الأستاذ بتروني بسيدي السعيد الفجوة «أ» فالموقع على شكل حفرة بدون سقف[10]، تتكون من أرضية تحتوى على حصى، رمل خشن، وأحجار مفتتة، إلى جانب قطع من الصواعد المتحجرة الناتجة عن الصخر المفتت، كما وجدت

عناصر أخرى، مكونة من حصى الكوارتز، الكلس، الشيست، الكالسيدوان والسلكس، التي جلبت من طرف إنسان ما قبل التاريخ، صنع منها الأدوات المشظاة من جهة، والمشظاة من جهتين، وشظايا مهذبة.

يحتوي عمق الفجوة في جزئه العلوي على تجاويف مكونة من طمي-طيني، والجزء السفلى مكون من الحجر الحثي، الجدران الشمالية والجدار الصخري الواصل عبارة عن منحدر حثي مائل.

الفجوة «أ» ذات هيئة كارستية، بحيث توسعت بفعل عاملين الميكانيكي والكميائي، من هنا نميز المراحل التالية لتكوين الفجوة:

-مرحلة الإنكسار وقابلية الصخور ميكانكيا للتكدس، ثم مرحلة التصلب، وأخيرا مرحلة التأثيرات الخارجية على غرار التآكل بفعل جريان المياه بالجدران وفرش الطمي الأحمر.

الفجوة «ب» ذات تكدس بني، لها هيئة ملجأ صخري شديد الإنحدار، تتكون الفجوة من الأرضية، وهي مصطبة حثيه، الجزء المجوف مكون من حجر ركامي، يعلوه توضع بني أسود، والسقف عبارة عن قوقعة حثية أفقية، وفي هذه الفجوة نميز تشكيلة ذات التوضع البني، وطبقة من التوضع الأحمر.

المحتوى الأثري للمغارة: في توضع الفجوة «أ» على الشاطئ الصخري الحثي نجد رمال، وأجزاء مكلسة من الصواعد المتحجرة، إلى جانب بقايا عظمية وحصى مشذبة[11]، تتكون الصناعة الحجرية من حصى، شظايا وأجزاء شظوية من مادة الكوارتزيت، الشيست، الكلس، كوارتز، الكالسيدوان والسلكس (الشكل12)، من بين الأدوات نجد الشوبر، قطع حصوية شبه دائرية من نوع كريات ذات الأوجه، أداة مشظاة من جهة، إلى جانب بعض الأدوات الصغيرة الحجم، شظايا طبيعية ومهذبة، مكاشط من السلكس، مسننات و قطعة من ذات العنق.

في مستوى الطمي الأحمر بأعلى الشاطئ، تم التعرف على نوع من هيئة سكنية خاصة، وهي عبارة عن عظام حيوانات فقارية كبيرة مفروشة في الأرض مع بقايا الشوبر، الشوبنغ تول والمكاشط، هيئة على شكل نصف دائري تتكون من أحجار وفحم متصلب، إلى جانب بعض القواقع من نوع «*Pattella ferrunica*»، وقد أرخت بعض من هذه القواقع بـ38130 سنة +-1320.

أما بعمق الملجأ فتم التعرف على بقايا عظمية تتمثل في الفكوك، أسنان، وعظام الأطراف، فقارات مع أدوات حجرية كالشظايا والشوبر.

نميز في الفجوة «ب» تتابع الطبقات حسب أعمال الباحث بتروني[12] (الشكل30)، ومن خلال هذا الشكل قسم التوضع إلى سبعة مجموعات حجرية، وهي من الأسفل إلى الاعلى:

المجموعة I: تقابل المستوى J.K.L من أصل كميائي مستوى أبيض غني بالكربونات والكالسيوم، ومن أصل عضوي ذو تكوينة نباتية.

المجموعة II : وحدة حطامية تسجل نهاية التوضع الكميائي والعضوي.

المجموعة III: تتمثل في الوحدة H تطابق رقيق من أرضية نباتية المنشأ.

المجموعةIV : الوحدة F.G ذات عناصر حطامية.

المجموعة V: الوحدةD.E تقابل الأرضية القديمة الحطامية.

المجموعةVI : تمثل الوحدة B.C مستوى رمادي من الأرضية الرملية B، مستوى نباتي المنشأ C.

المجموعة VII: الوحدة A حطامية تندرج ضمن رواسب المهاد.

المحتوى الأثري في المجموعة (I)، يتميز بصناعة من التقنية اللفلوازية الموستيرية، أدوات من السلكس، الشيست، الكوارتزيت والكوارتز، كما نجد شظايا ونصال مهذبة خاصة المكاشط (الشكل04) وخمسة قطع من ذات العنق.

المجموعة الحجرية (II) و (III): تتميز بوجود هيئة حجرية مع الفحم(مواقد)، خاصة أدوات من السلكس لها شكل يميل إلى الهندسيات، إلى جانب المكاشط، المدببات، أوراق ذات وجه، والنصيلات.

المجموعة (V) و(VI): يتميز هذا المستوى بندرة الأدوات الحجرية فيه، نجد بعض المدببات والمكاشط، بينما في المجموعة (VI) بالضبط المستوى الأسود «C» (الشكل05) تم التعرف على أرضية استقرار الإنسان، التي تحتوي على الصناعة الحجرية، منها السلكس من الموستيري النموذجي.

المجموعة (VII): تحتوي على بعض العناصر الحجرية الناتجة عن المستويات العليا، منها عظام الفقاريات، حصى عادة مشظاة، الشوبر، والمكاشط نادرة.

من الناحية الستراتيغرافية تتواجد الأدوات الموستيرية في تشكيلة التيريني الحديث الصناعة الحجرية من مادة الكوارتز، الشيست، والحجر الرملي، أما السلكس والأدوات ذات العنق فهي نادرة[13].

فيما يخص البقايا الإنسانية لم يتم العثور على أي بقايا إنسانية تنسب إلى هذه الفترة، لكن استنادا إلى البقايا التي اكتشفت بالمغرب الأقصى[14] في موقع سيدي عبد الرحمن، نسبت الصناعة الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط إلى الإنسان العاقل النيادرتالي.

وحسب التأريخ المتحصل عليه بواسطة عينات من الفجوة «ب»، أرخ الموقع ما بين 27280 إلى 20500 سنة قبل الحاضر[15].

و كخلاصة نستنتج أن التوضع الأحمر في الفجوة «أ» يحتوي على ميزة طبقية تحتوى على أدوات عاترية، بينما التوضع البني في الفجوة «ب» حالة فريدة من نوعها على الساحل المغربي، حسب الطبقية نجد فوق الصناعة العاترية وجه موستيري غني بالمكاشط والمدببات ذات التهذيب المسطح دون أداة ذات العنق، هذا إلى جانب غياب الوجه الإيبيرو مغربي في الوقع.

3 - **مغارة راسل:**

عرف العصر الحجري القديم المتأخر الحضارة الإيبيرو مغربية التي انتشرت في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لشمال إفريقيا، تأتي بعد الحضارة العاترية وتسبق الحضارة النيوليتية، من بين المواقع المميزة لهذه الحضارة، والمتواجدة على الساحل الغربي للجزائر العاصمة مغارة راسل بشنوة، هذه المحطة الأثرية غنية بالبقايا الأثرية، كالأدوات الحجرية، بقايا عظمية حيوانية وإنسانية، إلى جانب الحلي المصنوع من أصداف الرخويات.

المغارة متواجدة في الكتلة الكلسية التي تعود إلى فترة الليلسي برأس شنوة، على بعد 6 كلم غرب تيبازة (الشكل06)، بين خط عرض 38,36 ° شمالا، وخط الطول 24,2 ° شرقا[16]، حيث تطل على البحر.

كانت اول إشارة إليها من طرف «راسل» في سنة 1955 خلال أعمال تهيئة محجر، ثم أقيمت فيها الحفريات سنة 1959 - 1965 من طرف كلود براهيمي[17]، وفي سنة 1966 - 1968 تمت الحفرية في منحدر مقدمة المغارة (الشكل07)، حيث تم التعرف على مستويين أثريين، السفلي إيبيرومغربي، والعلوي نيوليتي.

المحتوى الأثري للمغارة: حسب المقطع الطبقي في المغارة، تم التعرف على مستويات ذات محتوى أثري، العلوي الذي هو عبارة عن طبقة رمادية منقحة ذات سمك حوالي

1متر، وجدت به بقايا من قطع الفخار النيوليتي والروماني، المستوى السفلي الذي يتكون من طبقة رمادية غير منقحة، يحتوي على الأدوات الإيبيرو مغربية، مع بقايا تكدس لقواقع الإيليكس (الشكل08)، هذا المستوى يرتكز مباشرة فوق الدملوك مأرخة بـ16065 - 18501 سنة قبل الحاضر، حسب بعض القواقع البرية[18].

الأدوات الحجرية المتواجدة بالمستوى السفلي تنسب إلى الحضارة الإيبيرو مغربية، حسب تحليل الأدوات الحجرية التي تتميز بكثرة النصيلات ذات الظهر المجندل، والأزاميل التي صنعت من مادة الصوان والسلكس، كما أشار الباحث كلود براهيمي إلى قطع حجرية متواجدة في مستوى موقد بني، مع بقايا إنسانية، بحيث شكل القطعة الحجرية تشبة في هيئتها سمكة مسطحة وضيقة، وحسب الدراسة التيبولوجيا للأداة، تبين أنها كانت تستعمل لتهذيب النصيلات ذات الظهر[19]، إلى جانب المحكات، المثاقب، الشضايا، الحزات، القزميات الهندسية، والعظام المصقولة كالمخارز، كما التقط في منحدر المغارة بقايا من شظايا النواة، أزاميل، ورؤوس من نوع العصر الحجري الحديث (الشكل09).

أما البقايا الحيوانية التي تم التعرف عليها من طرف أرمبورغ[20] فنذكر منها الثديات الممثلة في: «Bos primigenius»، «Ammotragus lervia»، «Sus scrofa»، «Gazzella dorcas»، «Equsmauritanicus»، قد تكون هذه الحيونات من بين الأغذية الخاصة بإنسان مشتى العربي، إلى جانب بعض القواقع البحرية والبرية، ومن البقايا البرية نجد الحلزونات منها: «aspera Helix»، «Helix aperta»، أما البحرية فنذكر منها: «Patelles» و «Cardium edule».

البقايا الإنسانية تتمثل في أجزاء صاقورة الجمجمة، فك علوي أيمن يحتوي على ضرس أمامية، كما تبين فيها خلع للأربعة قواطع من الفك السفلي[21]، أجزاء من عظام الأطراف، نسبت هذه البقايا البشرية إلى مشتى أفالو[22].

أرخ الموقع بـ12320 + - 400ق.م، فهو يعود إلى الألفية 12، نميز في الموقع وجه ثقافي ابيرومغربي قديم حسب كامبس[23]، الذي يحدده فيما بين 12.500 إلى 13.000 سنة ق.ح، هذه الحضارة تقابل المرحلة الأخيرة لجليدية فورم، حسب الدراسة الرسوبية المقامة على عينة الرمال والطمي في بعض من المواقع، مثل مغارة أفالو بورمل، تدل على مناخ يمتاز بالأمطار الغزيرة[24].

وبالرغم من تواجد عدة محطات لما قبل التاريخ بضواحي تيبازة[25]، خاصة تلك التي تعود إلى العصر الحجري الحديث لكن لم تمدنا بمعلومات كافية حول توضعات الرواسب بها وعلاقتها بالمحتوى الأثري بسبب قلة الأبحاث والدراسات فيها.

استنتاج عام:

من خلال البقايا الأثرية نستنتج أن موقع سيدي السعيد مغارة ذات نشاط إنساني مخصص في السلخ، يتضح لنا ذلك من خلال امتزاج الأدوات الكبيرة، كالأداة المشظاة من جهة، مع قطع صغيرة كذات العنق، يدل على نشاط خاص بجماعات إنسانية من العصر الحجري القديم الأوسط، فالفترة العاترية التي تقابل جزءا من العصر الحجري الأوربي بمعنى العاتري الساحلي لبلاد المغرب ذو التعدي الأقصى البحري التيريني، يقابله ما بين جليدية ريس فورم، والدليل الأثري يتمثل في الصناعة العاترية المتواجدة بالطبقة الحمراء بالمغارة[26]، كما أشار الباحث دولاموث[27] إلى العثور في موقع برار على طبقات مماثلة، تحتوي على سلكس في الرمال الحمراء الطمية ذات بقايا قواقع الإيليكس التي تعود إلى الزمن الرابع البحري.

إن تواجد الحيوانات التي تعود إلى البلايستوسان الأعلى الخاص ببلاد المغرب في الطبقات الحمراء[28] سمح بربط مستوى الطمي الأحمر لسيدي السعيد بالتوضع ذو الأدوات العاترية، وحسب الدراسات التي أقيمت على طول ساحل الجزائر العاصمة فإن هناك عدة محطات تحتوي على الموستيري المتواجد بالطبقة الطينية الحمراء[29]، والشيء الواضح في المغارة الكارستية لسيدي السعيد، هو غياب الوجه الثقافي الإيبيرومغربي والنيوليتي، عكس ما نجده في بعض المواقع الساحلية، مثل موقع كاب التنس، الذي نجد فيه خلط في الأدوات.

إن الفترة العاترية بالساحل المغربي يليها الوجه الإيبرومغربي مباشرة، لكن للتأكد من ذلك يجب البحث عن هذه العلاقة في التوضعات والتشكيلات التي يمكن أن تحتويها، في بعض الأحيان لا نجدها في المواقع بسبب العوامل والظواهر الجيوديناميكية والبيوكيميائية، فالصخور تتعرض إلى تحولات وتفتت بفعل المياه، أو بسبب قلة أعمال الحفرية في المواقع.

الملاحق:

الشكل(01): الحجر الرملي الصقلي
أين تتواجد الفجوتين

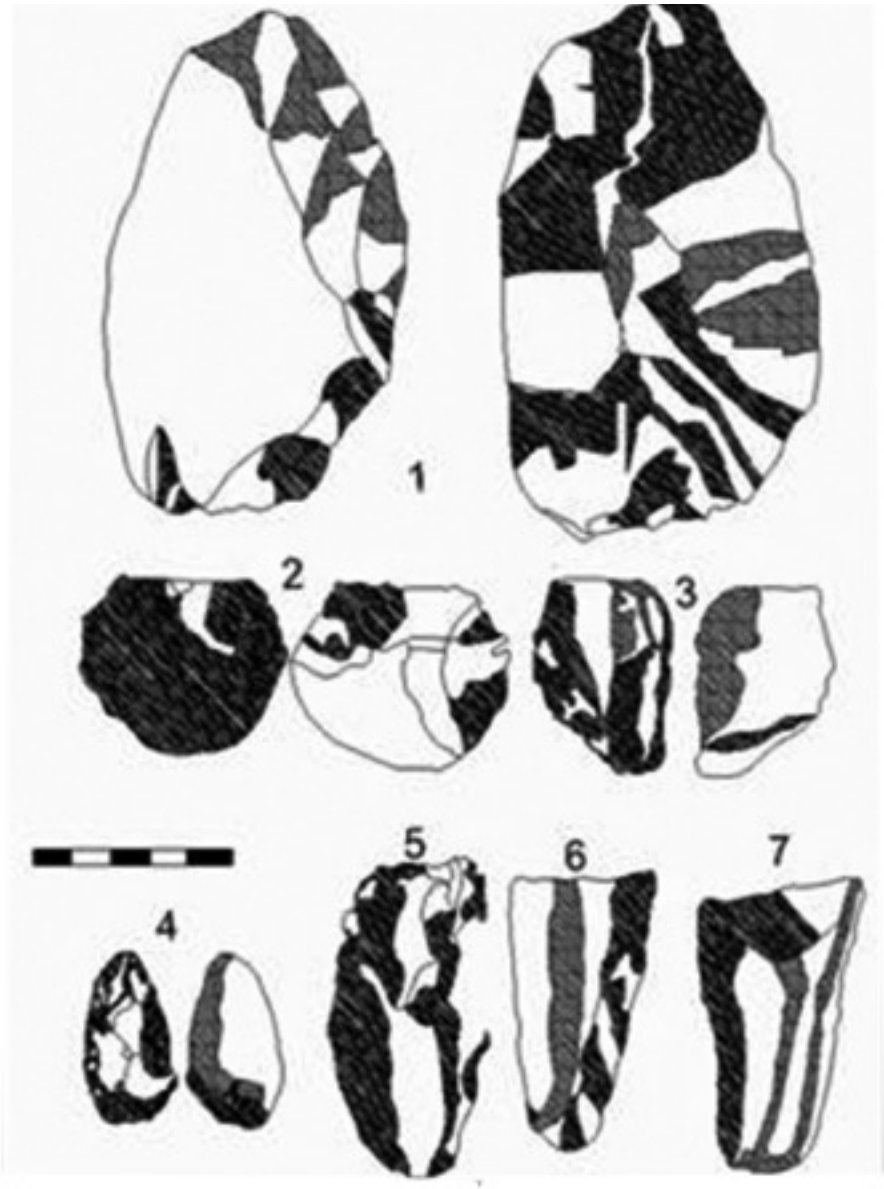

الشكل(02): الصناعة الحجرية من الفجوة أ

1-ذات الوجهين، 2-الثقوب، 3-شضية مهذبة،

4-مكشط متناوب، 5 إلى 7-نصال

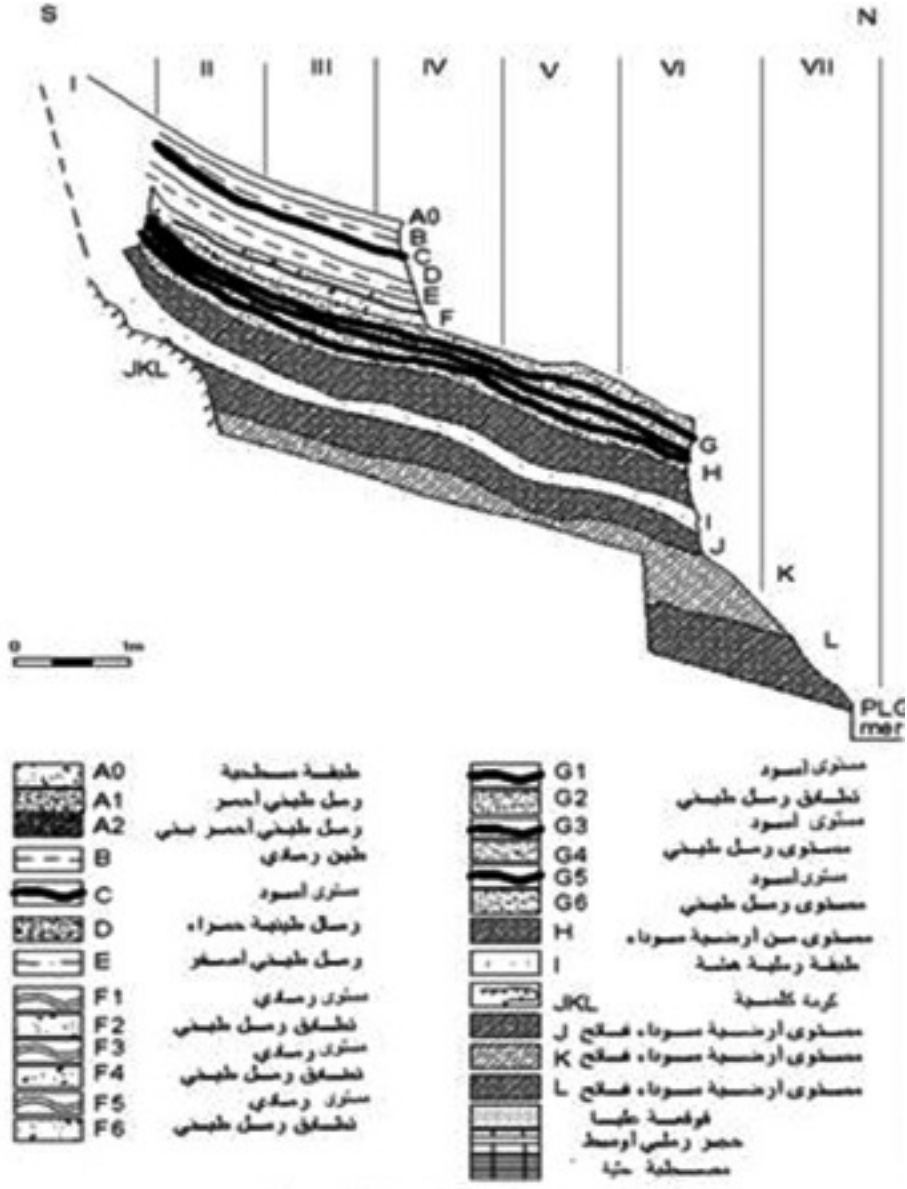

الشكل (03):مقطع طبقي للفجوة ب

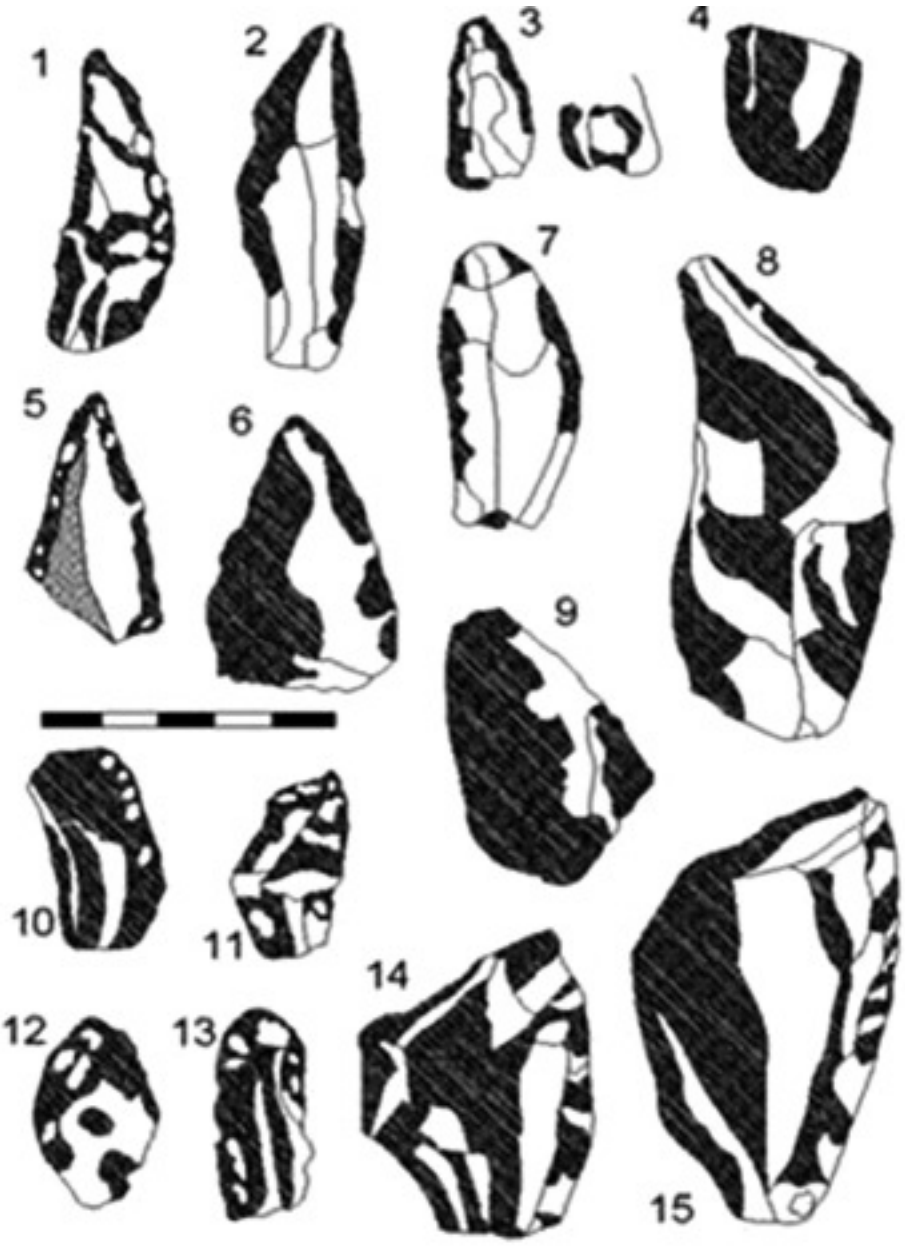

الشكل(15أ): الصناعة الحجرية من المستوى C في الفجوة ب1.2.3و 7 مكاشط محدبة و منقارية، 4.9و13 مكاشط بسيطة مستقيمة، 5 مكشط منقارب متعدد الأوجه، 6.10.11.12.14و15

الشكل(5ب): الصناعةَ الحجريةَ من
في الفجوةَ بCالمستوى

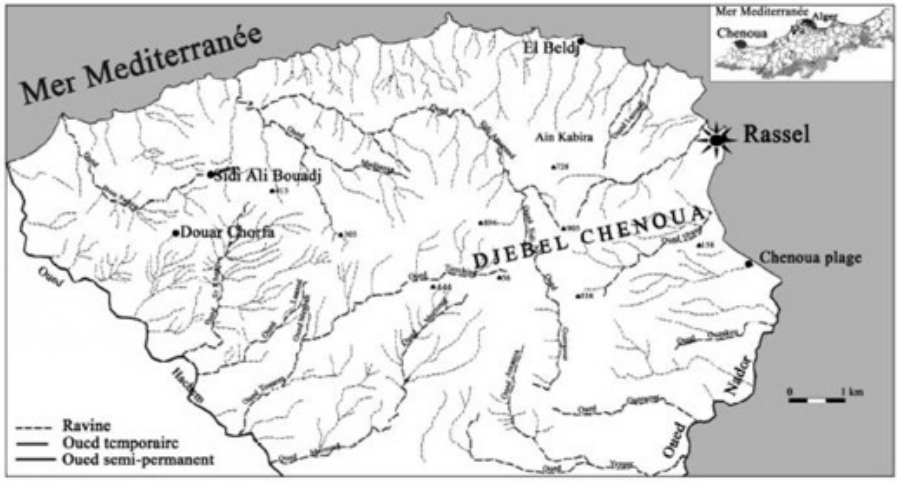

الشكل(06): موقع راسل في الساحل الغربي للجزائر العاصمة (2008, p378) Sari. (L)

الشكل(07): مغارة راسل

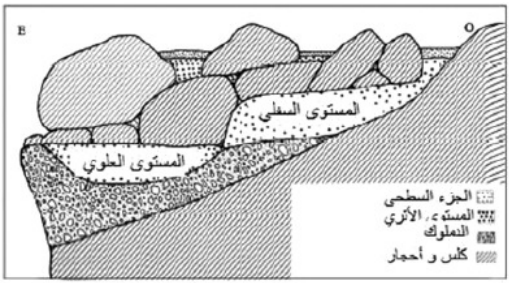

الشكل(08): مخطط واجهة الحفرية بمغارة راسل
(2008, p378) Sari. (L)

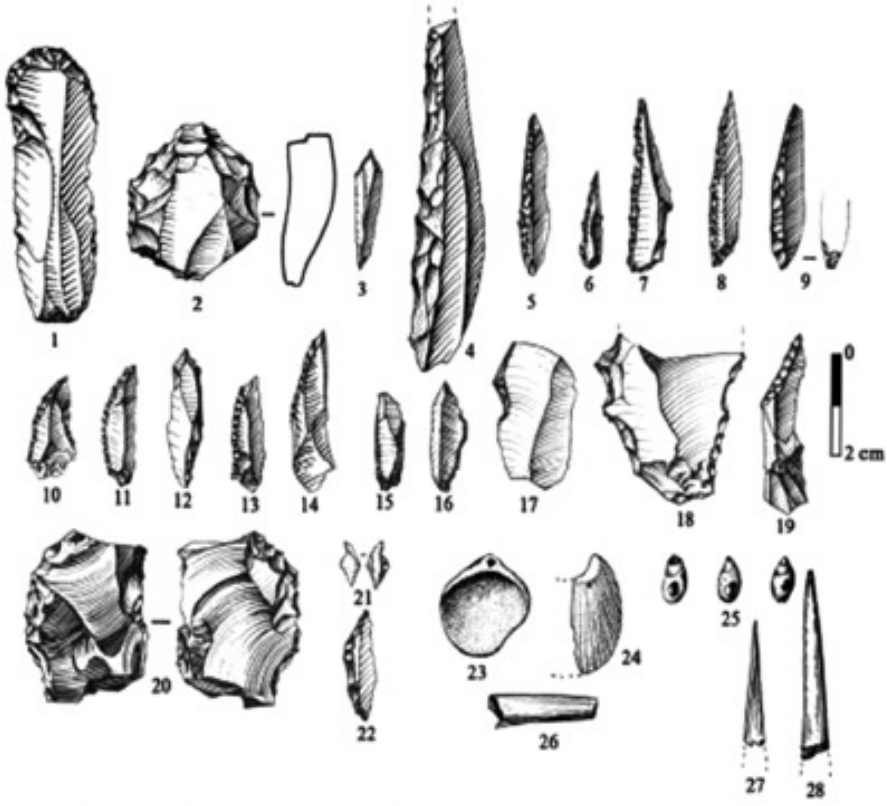

2،1 محكات. 3 منقب. 4 نصلة ذات حواف. 5إلى12 مدببات ذات الحواف. 14،13 مدببة المويلح. 16،15 مدببة ذات تهذيبة أوشاكة. 17 قطعة ذات حزة. 18 قطعة مسننة، 19 قطعة مغروطية. 20 قطعة عظمية، 21 إزميل صغير، 22 قطع صغيرة. 23إلى26 حلي، 27إلى28 مثاقب من العضام.

الشكل(09): الأدوات الحجرية والعظمية من المستوى السفلي

الهوامش:

1) Aymé (A).- Le quaternaire littoral des environs d'Alger. congés panafricain de préhistoire. actes de la IIe session. 1952. Alger. pp 244

2) Saoudi (N.E).- Tectonique récente du littoral ouest Algérois. Libyca. t. XXXII-XXXXIV. 1984-1985-1986. pp 71

3) Aymé (A).- 1952. op.cit.. p.243

4) Betrouni. (M) et Saoudi(N).- Quaternaire marin récent du sahel occidental d'Alger. Libyca. t.XXVI-XXVII. 1978-1979. pp9.

5) Balout. (L).- Préhistoire de l'Afrique du Nord. Essai de chronologie. Paris. 1955. pp320

6) Betrouni. (M).- les grottes préhistoriques du plateau littoral de Tipaza. contexte géomorphologique et chronostraphique. Libyca. t.XXXV. 1998. pp23

7) Betrouni. (M).- 1998. op.cit. pp41

8) Roubet. (F.E).- Recherches récentes sur la stratigraphie du littoral à l'ouest d'Alger. (L'aterien et les formations de la cote entre Bérard et Tipaza). 6eme. Cong. Panaf. De préhi. Et de quat. Dakar.1967 . pp144

9) H.Marchand.- une importante station préhistorique du littoral Est Algérois. Bull. de la Soc. Préhistorique française. Juin. 1932 pp74

10) Betrouni. (M).- 1998. op.cit. pp41

11) Betrouni. (M).- 1998. op.cit. p41

12) Betrouni. (M).- 1998. op.cit. p46

13) Betrouni. (M).-Moustérien et atérien d'Afrique du Nord. d'autre formes de relations écologie et adaptation humaine. Journée d'étude CNRPAH. 1997. Alger. pp 54

14) DEBENATH. A.. 1980. Nouveaux restes humains atériens du Maroc. Comptes-rendus de l'Académie des Sciences. Paris. t.290. pp 851

15) Betrouni. (M).- 1998. op.cit. p53

16) Sari. (L).- Production lamellaire en contexte iberomaurusien : Variabilité et implication techno-économique. Cas du niveau inferieur de Rassel(Littoral Ouest Algérois). Actes RQM4. Oujda. 2008. p378

17) Brahimi. (C).- Les outils biseauté du gisement Rassel (Chenoua). Libyca. . t. XV. 1967. pp65.

18) Sari. (L).- 2008. op.cit. p377

19) Brahimi. (C).- 1967. op.cit. p66

20) Marchand. (H).- 1932. op.cit. p74

21) Camps. (G) et Camps(H). Curtès(A) et (F). Tixier(J). Prise de date. B.S.P.F. t.LVI. 1959. p 297

22) Camps. (G).- Les civilisations préhistorique de l'Afrique du Nord et du Sahara. Paris. Doin. 1974. p150

23) Camps. (G).- 1974. op.cit. p262

24) Hachi. (S).- Les Industries d'Afalou Bou Rhummel (Algérie) dans leurs relations avec l'Iberomaurusien. Thèse3e cycle Préhistoire Aix-Marseille. 1987. p37

25) Marchand. (H).- Fouilles à la station préhistorique du Chenoua. Bulletin de la société d'Histoire naturelle de l'Afrique du Nord. 1931. p25

26) Betrouni. (M) et Saoudi(N).- 1978-1979. op.cit. p10.

27) DE LAMOTHE.- Les anciennes lignes de rivage du Sahel d'Alger et d'une partie de la côte algérienne. Mémoires de la Soc. Géologique de France. 1911. p. 48

28) Balout. (L).- 1955. op.cit. p83

29) Marchand. (M) et Aymé(A).- Recherche stratigraphique de la grotte du Chenoua. Bulletin de la société d'Histoire naturelle de l'Afrique du Nord. t 23. N°3. 1932. p73.